

المصادر الإفريقية

معيار الكتابة في صناعة "التاريخ":

ان قضية المصادر التي لها علاقة بالقارة الإفريقية على العموم وإفريقيا جنوب الصحراء بالأخص تعد معضله بالنسبة للمؤرخ الذي يحاول ان يستقرا اصولها وحضاراتها، بحكم وجود مسلمة فحواها انعدام الشواهد التاريخية بالنسبة لهذه الشعوب، خاصة عندما نقيسها بمعيار الشعوب التي دونت تاريخها وتركت لنا سجلات اعتمد عليها المؤرخين منذ الكتابات الكلاسيكية فكانت هذه السجلات مقياسا لتطورها و هو العكس الذي حدث لتاريخ افريقيا فانعدام هذه السجلات جعلها ينظر اليها كأنها شعوب متخلفة لم تدخل في مسار سياق الحضارات التي عرفت باقى القارات.

رغم ذلك فان الكشوفات الجغرافية التي بدأت منذ نهاية القرن 16 وبداية القرن 17 التي عرفت عده مناطق العالم سواء في اسيا وإفريقيا جعلت أوروبا تكتشف وجهها اخر للإنسانية عندما تعرفت على حضارات عتيقه وقديمة واولها الحضارة المصرية التي افصححت للعالم تاريخا مغايرا بعيدا عن المفهوم الأيديولوجي لعلم التاريخ سواء فلسفيا وفكريا ودينيا خاصة لما اكتشف شامبوليون رمزيه الكتابات الهيروغليفية المصرية التي اظهرت ماض لأمم قد اندثرت منذ ازل بعيد لكنها صنعت التاريخ هي الأخرى.

لهذا اعتبرت مصر في تلك الظروف هي الوحيدة التي دخلت التاريخ عكس الشعوب الافريقية وان باقى المناطق لم تشهد فيها اكتشاف بمثل هذا النوع من الكتابة الا في مناطق التي سماها مؤرخي العهد الكلاسيكي والحديث بالمناطق البربرية اي شمال افريقيا فقد عرفت هي الاخرى نمطا من الكتابة في المناطق المحاذية للصحراء سميت بالتفيناغ رغم حداثة زماها.

اهم المصادر المساعدة في كتابة تاريخ افريقيا

من خلال مسلمة التي ذكرت بان إفريقيا ليس لها تاريخ لانعدام المصادر المكتوبة، نقول انه هناك جانب اخر من المصادر تسمح لنا معرفة ماضيها عندما نعتد على التركة الأثرية التي تزخر بها هذه القارة والاعتماد عليها يتوقف حسب توفر ادوات المقاربة المتمثلة في العلوم الوضعية التي ابتكرها العالم الغربي منذ عهد الاستنارة كعلم الآثار وعلم الانثروبولوجيا وعلم الاجتماع وفقه اللغة، كل هذه العلوم تعتبر علوم مساعده في كتابه تاريخ إفريقيا.

فعلم ما قبل التاريخ اصبح ضروريا في معرفه اصول و تطور الإنسانية في إفريقيا بحكم انه اتضح منذ عدة سنوات ان اقدم السلالات ظهرت بأثيوبيا و تلتها اقدم حضارات فجر التاريخ، بشكل نجدها موزعة بانتظام دون اختلالات زمنية عبر ارجاء القارة و بتباينها وتنوع مظاهرها، فما زالت العديد من القبائل الإفريقية تمارس انماطا معيشيه شبيهه بتلك التي أسسها الانسان الافريقي منذ الفترات السحيقة على غرار قبائل البشمان التي حافظت على طقوسها الدينية وعلى تنظيماتها الاجتماعية والاقتصادية وكذلك على فسيفساء لغاتها بحيث كانت هذه العناصر الثقافية بمثابة الإرث الذي اعتمدت عليه في تأسيس شخصيتها ومقوماتها و توقف أيضا على العنصر الشفوي من اجل إضفاء الاستمرارية لهذا التراث، ان كل هذه العوامل قد تساعد المؤرخ للقارة في الاعتماد عليها حتى يستنبط منها تلك العناصر التي تسمح له و من خلالها تشكيل صوره ولو قربه لتاريخ هذه الشعوب الإفريقية. ومن بين النماذج التي يمكن ان نقدمها كدليل لهذا الطرح الدراسات الفنية التي ظهرت منذ بدايه القرن التاسع عشر في مواقع افريقية على غرار محطات النقوش والرسومات الصخرية في كل من شمال إفريقيا وجنوبها وغربها اذ نجد في كل من هذه المواقع ذلك التقارب في مضامين مواضيعها و في

اشكالها الفنية خاصة عندما نقارن بين مشاهد مواقع الطاسيلي ناجر التي تعود الى مرحله ما قبل البقاريات فإننا نجد فيها بعض سيماء ثقافيه شبيهة الى حد كبير الى وشم و اقنعه الصيد لبعض شعوب القاره السمراء وعلى راسهم رعاه البول الذي انتشر كيانهم عبر صحاري الساحل والسودان وهم كذلك تركوا لنا اثارهم على شكل رسومات توجي الى نفس الانماط المعيشية التي عاشتها تلك الشعوب. لكن ماذا نعني بالمصادر التاريخية؟

ايتيمولوجية المصادر التاريخية:

من المعروف ان نشأة التاريخ كمفهوم علمي توقف على توفر المادة التاريخية التي تصقل المجتمعات وقد طغى هذا المفهوم منذ القرن التاسع عشر والعشرين بأوروبا، فالمجتمعات التي تفتقر الى هذا المعطى هي شعوب لا قيمة لها بل وجودها ما هو الا عبارة عن حادثة تاريخية وقعت في زمن ما، لكنه سرعان ما غير الفكر الأوروبي نظرتة لما ظهر بأوروبا ذلك التيار الذي نادى بوحودية طبيعة الانسان خاصة في النظريات الأنثروبولوجية فالتمسوا ماضي هذه الشعوب من خلال الدراسات الاثنو-التاريخية او من زاوية انثروبولوجيا التاريخيه و رواد هذه النظرة خاصة في القرن العشرين ،كانوا جمله من الفلاسفة و رجال الدين و المؤرخين وعلى راسهم المؤرخ لإفريقيا ريمون موني في كتابه المعروف "القرون المظلمة لإفريقيا السوداء تاريخ واثار".

فانعدام النص التاريخي لم يصبح معضله بالنسبة للمؤرخ عندما بدا يعتمد على مصادر غير مباشرة استنبط منها بعض صور هذا التاريخ الافريقي، على غرار المصادر الكلاسيكية الإغريقية والرومانية التي تطرقت الى شعوب القارة و اشارت إليهم حسب الظروف التاريخية.

مشروع كتابة التاريخ لافريقيا:

ولهذا دعت منظمه اليونسكو سنه 1965 الى تحقيق مشروع كتابه التاريخ العام لإفريقيا والذي انتهى بإصدار ثمانية مجلدات نشرت بباريس منذ سنه 1986 الى غاية 1998 وقد صادف نهاية الفترات الاستعمارية في القارة بدأيه التفكير في ضرورة الحفاظ على الاسس الاجتماعية والثقافية والدينية لشعوب القارة فانعقد اول مؤتمر دولي من تنظيم جمعيه المؤرخين الافارقة الذي تم بجامعه داکار السنغال من 27 الى 30 ديسمبر 1972 والذي نادى بضرورة كتابه تاريخ افريقيا من خلال توفر جميع اشكال المصادر الشفوية منها او الأثرية و الاعتماد على هذه العلوم المساعدة التي تسمح لنا فهم مسار شعوب هذه القارة زمنيا.

من اعداء الاستاذ حمدادو يوغرطة